إنه القرآن

الشيخ عمرو الشرقاوي

اسم الدرس : إياك والسيئات في أزمنة البلاء

تصنيف الدرس : خطبة

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضد له ولا ولد له ولا صاحبة له، ولا منازع له، لا يفنى ولا يكون غير ما يريد، منفرد بالخلق والإرادة، وحاكم جل بما أراد، فمن يشأ وفقه بفضله، ومن يشأ أضله بعدله، فمنهم الشقي والسعيد، وذا مقرب وذا طريد، لحكمة بالغة قضاها، يستوجب الحمد على اقتضاها.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، إمام الأتقياء وسيد الأنبياء، وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالنور والهدى والحق والضياء، صلى عليه ربنا ومجده والآلِ والصحب دوامًا سرمدًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب ٧٠-٧١]

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة.

أما بعد...

إن الله سبحانه وتعالى حين يقضي قضاءه في الكون، فإنه يقضي هذا القضاء لحكمة، والله سبحانه وتعالى هو الحكيم العليم، فلا يفعل شيئًا إلا لحكمة سبحانه وبحمده.

والله سبحانه وتعالى يبتلي الناس بالسراء والضراء، ويبتليهم بالخير والشر، كما قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء ٣٥].

وابتلاء الله عز وجل بالخير لا يكون عن كرامةٍ للإنسان أو إهانة له، وكما ابتلاءه سبحانه وتعالى بالشر، لا يكون عن كرامة للإنسان أو إهانةً له.

قال الله عز وجل ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦﴾ [الفجر ١٥-١٦]

قال الله تعالى ﴿كَلَّاۖ﴾

يعني لا يكون العطاء من الله إكرامًا، ولا يكون المنع من الله عز وجل إهانة.

بل إن الله عز وجل قد جعل لكل شيء قدرًا، فقد يُبتلى الإنسان بما يكره لكي يرفع الله عز وجل درجته ويُعلي منزلته.

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الناسُ على قدْرِ دينِهم[1])

-وكان النبي ﷺ يُوعك كما يُوعك الرجلان، إذًا النبي ﷺ كان يصيبه المرض، كما لو أن هذا المرض قد أصاب رجلين من سائر الناس.

-وكان النبي عليه الصلاة والسلام يشعر بوجع، هذا الوجع يكون مفرقًا على رجلين، كان النبي ﷺ يتوجع مثل هذا الوجع، صلوات الله وسلامه عليه.

- وقد ابتلى الله عز وجل الأنبياء، وابتلى أهل الصلاح، ابتلى الله عز وجل يعقوبَ بفقد ولده، ثم عوضه الله عز وجل بعد ذلك بلقياه، وابتلى الله عز وجل أيوبَ بمرض، ذهب أهله وماله بسبب هذا المرض، ثم عوضه الله عز وجل بعد أن دعا الله عز وجل وابتهل إليه، وابتلى الله عز وجل زكريا فقُتل، وابتلى الله عز وجل يحيى فقُتل، وابتلى الله عز وجل موسى فأوذي، وابتلى الله عز وجل محمدًا ﷺ بإيذاء قومه له، فابتلى الله عز وجل الأنبياء، وابتلى الله تبارك وتعالى أهل الصلاح.

المقصود أيها الكرام أن الإنسان لابد أن يرى حكمة الله عز وجل في البلاء، الله سبحانه وتعالى حين يبتلي بالسراء والضراء، فإنه يريد سبحانه وبحمده أن يرجع الناس إليه، الله عز وجل يأخذ الناس بالسراء والضراء؛ لكي يرجعوا إليه، لكي يتضرعوا إليه.

– قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام ٤٣] أنزل الله عز وجل بهم البلاء، وأراهم الله عز وجل الآيات، ومع ذلك لم تزدد قلوبهم إلا قسوة وشدة، مع أن هذه الآيات لو نزلت على جبل لجعلته خاشعًا متصدعًا، لكنها قلوب خلت من الإيمان؛ فلذلك زادت قسوة.

– ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ وَلا يَزيدُ الظّالِمينَ إِلّا خَسارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]

[1] [عن أبي سعيد الخدري:] أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الناسُ على قدْرِ دينِهم، فمن ثَخُنَ دينُه اشْتدَّ بلاؤُه، و من ضعُف دينُه ضَعُف بلاؤُه، و إنّ الرجلَ لَيُصيبُه البلاءُ حتى يمشيَ في الناسِ ما عليه خطيئةٌ.
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٩٩٣ • صحيح

فبعض الناس إذا رأى هذه البلاءات العامة على الناس، يرجع إلى الله ويطلب من الله عز وجل العتبى؛ لأنه يخاف من هذه الآيات، والله تبارك وتعالى يقول ﴿وَما نُرسِلُ بِالآياتِ إِلّا تَخويفًا﴾ [الإسراء: ٥٩] فالله عز وجل يخوّف الناس بهذه البلاءات.

النبي ﷺ كان إذا رأى الآيات الكونية، كان يخاف صلوات الله وسلامه عليه؛ الرسول عليه الصلاة والسلام كان إذا هاجت الريح، يحدث له حالة من حالات الخوف من الله تبارك وتعالى، ويقول: ((وما يؤمنني أن تكون عذابًا؟))

إن قومًا حكى الله عز وجل عنهم في القرآن الكريم أنهم لما رأوا الريح قالوا: هذا عارض ممطرنا.

في الأحقاف {وَاذكُر أَخا عادٍ إِذ أَنذَرَ قَومَهُ بِالأَحقافِ وَقَد خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلفِهِ أَلّا تَعبُدوا إِلَّا اللَّهَ} [الأحقاف: ٢١].

هؤلاء القوم أرسل الله عز وجل عليهم العذاب، فلما رأوه، لما رأوا هذا العذاب القادم عليهم {قالوا هذا عارِضٌ مُمطِرُنا} [الأحقاف: ٢٤] قال الله عز وجل {بَل هُوَ مَا استَعجَلتُم بِهِ ريحٌ فيها عَذابٌ أَليمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيءٍ بِأَمرِ رَبِّها فَأَصبَحوا لا يُرى إِلّا مَساكِنُهُم كَذلِكَ نَجزِي القَومَ المُجرِمينَ} [الأحقاف: ٢٥].

هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم أرسل الله عز وجل عليهم العذاب، ومع ذلك لم يروا هذا العذاب؛ **لأن رؤية الابتلاء تحتاج إلى قلب، رؤية البلاء لا تحتاج إلى عين، وإنما تحتاج إلى قلب.**

تجد الناس يرون البلاء من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، ومع ذلك لا يرجعون، لا يرجعون! **لأن قلبهم قد أُغلق.**

- ألم يقل الله تبارك وتعالى:

- {أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ أَم عَلى قُلوبٍ أَقفالُها} [محمد: ٢٤]
- {وَقالوا قُلوبُنا غُلفٌ بَل لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفرِهِم فَقَليلًا ما يُؤمِنونَ} [البقرة: ٨٨].

قالوا قلوبنا غلف مغلقة، هذه قلوب مغلفة بالران والمعصية، {كَلّا بَل رانَ عَلى قُلوبِهِم ما كانوا يَكسِبونَ} [المطففين: ١٤] ران على قلوبهم هذه المعاصي والذنوب.

- تجد في مثل هذا البلاء حكى الله عز وجل عن قوم ثمود ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [فصلت ١٧] ،
- ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت ١٥]

لأنهم لجأوا إلى الأسباب، هؤلاء القوم لجأوا إلى الأسباب؛ ولذلك تجد بعض المسلمين في هذه الأوقات لا يُعلق نفسه بالله، وإنما يعلق نفسه بالسبب، في مثل هذا البلاء العام الذي حل بالناس، كثير من المسلمين يعلق نفسه باللقاح الذي سيُنقذه، أو بالدواء الذي سيَخرج، وهو لا يدري متى يأتيه الأجل، قد يأتيه الأجل قبل أن يخرج هذا الدواء أصلًا، بل قد يأتيك الأجل من غير مرض أصلًا، تعددت الأسباب والموت واحد،

من لم يمت بالسيف مات بغيره

تعددت الأسباب والموت واحد

لكن هذا البلاء الذي يلف العالم من حولك لابد أن يعيَ المسلم رسائل الله عز وجل إليه.

الله عز وجل يستعتبك سبحانه وبحمده، لا تكن كحال الذين قال الله فيهم ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [الأنعام ٢٨].

هذه الآيات لا تؤثر فيهم، لا تؤثر في قلوبهم؛ لأن قلوبهم ليست قلوبًا حية، وإنما ماتت هذه القلوب، لكن ينبغي على المسلم أن يستعتب من الله تبارك وتعالى.

- الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يعرفون الله عز وجل في كل وقتٍ وحين، يعرفونه في الشدة كما يعرفونه في الرخاء، إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه لما وضع امرأته وولده إسماعيل عند بيت الله المحرم، لجأ إلى الله، لجأ إلى الله عز وجل

➢ ﴿رَبَّنا إِنّي أَسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتي بِوادٍ غَيرِ ذي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ﴾ انظر إلى دعاء سيدنا إبراهيم يقول: ﴿رَبَّنا إِنّي أَسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتي بِوادٍ غَيرِ ذي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقيمُوا الصَّلاةَ فَاجعَل أَفئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهوي إِلَيهِم وَارزُقهُم مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُم يَشكُرونَ ۝ رَبَّنا إِنَّكَ تَعلَمُ ما نُخفي وَما نُعلِنُ وَما يَخفى عَلَى اللَّهِ مِن شَيءٍ فِي الأَرضِ وَلا فِي السَّماءِ ۝ الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي وَهَبَ لي عَلَى الكِبَرِ إِسماعيلَ وَإِسحاقَ إِنَّ رَبّي لَسَميعُ الدُّعاءِ ۝ رَبِّ اجعَلني مُقيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتي رَبَّنا وَتَقَبَّل دُعاءِ رَبَّنَا اغفِر لي وَلِوالِدَيَّ وَلِلمُؤمِنينَ يَومَ يَقومُ الحِسابُ﴾ [سورة إبراهيم]

يلجأ سيدنا إبراهيم إلى الله عز وجل يدعو الله تبارك وتعالى.

➢ زكريا عليه الصلاة والسلام حينما أحس بفقد الولد لجأ إلى الله تبارك وتعالى قال الله عز وجل ﴿كهيعص ۝ ذِكرُ رَحمَتِ رَبِّكَ عَبدَهُ زَكَرِيّا ۝ إِذ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا﴾

هذا ذكر رحمة الله بعبده زكريا، إذ نادى ربه ﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤﴾ [مريم ٣-٤]انظر قوله ﴿ولم أكن بدعائك ربي شقيا﴾

يقول: يا رب أنا ما دعوتك قط في رخاء ولا شدة، ورجعت شقيًا خاليَ اليدين، ما دعوتك قط إلا حققت لي رجائي، ما دعوتك قط إلا رجعت منك يا ربي بخير عظيم.

- في نفس السورة يقول الله عز وجل عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَعتَزِلُكُم وَما تَدعونَ مِن دونِ اللَّهِ وَأَدعو رَبّي عَسى أَلّا أَكونَ بِدُعاءِ رَبّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨] يقول لأبيه عن ربه سبحانه وبحمده ﴿إنه كان بي حفيًا﴾ [مريم ٤٧].

كان الأنبياء يلجأون إلى الله، عرفوا الله في الرخاء فعرفهم الله في الشدة.

- يونس صلوات الله وسلامه عليه ﴿فَساهَمَ فَكانَ مِنَ المُدحَضينَ﴾ [الصافات ١٤١] تخيلوا سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام هذا النبي الكريم على الله سبحانه وتعالى غاضب قومه وخرج، فأراد الله عز وجل أن يوّقفه على حدوده.

ركب يونس عليه الصلاة والسلام في السفينة، فهاج بهم البحر، فلما هاج البحر بهم استهموا، اقترعوا فيما بينهم، خرجت القرعة على يونس، سيرمون يونس عليه الصلاة والسلام، فقالوا: لا أخروه أخروا يونس برهة، عبد صالح ورجل محترم، ونحن نعرفه، ويقترع مرة أخرى وتخرج القرعة على يونس، ومرة ثالثة وتخرج القرعة على يونس، وتأبى نفوسهم أن يرموا يونس عليه الصلاة والسلام، ولكن الله عز وجل قد قضى قضاءه، والحوت في انتظار يونس، ويُرمى يونس عليه الصلاة والسلام، وتلقفه الحوت يعني في تعداد الموتى، لكن الله تبارك وتعالى قضى أن يحيي يونس في بطن الحوت في ظلمات، في ظلمة الليل وظلمة الحوت وظلمة البحر، هذه الظلمات يحيا فيها يونس عليه الصلاة والسلام.

انظر شدة الهول، شدة الأهوال، تخيلوا يا إخوة هذا الهول العظيم! هو أصلًا مجرد ركوب البحر، لو رُمي شخصٌ في البحر، هذا في حد ذاته رعب، ولو بجواره حوت، هذا رعب آخر.

لا، هذا التقمه الحوت، وربنا سبحانه وتعالى قال ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ﴾ [الصافات ١٤٢] ، التقمه الحوت كأن يونس صار لقمة للحوت، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ يعني مُلام على ما فعل.

الله عز وجل سبحانه وبحمده جعل يونس في بطن الحوت مع كل هذه الأهوال، لكن يونس صلوات الله وسلامه عليه آنس بالله؛ ولذلك قال الله عز وجل ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤٤﴾ [الصافات ١٤٣-١٤٤]

كان سيصير طعامًا، ليس لقمة للحوت، لا، سيصير طعامًا للحوت، لكن الله عز وجل قال فلولا أنه كان من المسبحين، للبث في بطنه إلى يوم يبعثون.

﴿ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ وآمنوا ومتعهم الله عز وجل إلى حين كما حكى الله عز وجل.

إذًا الأهوال وهذه المصائب التي تحيط بالعالم، إن كنت في أمان من الله فلا خوف عليك، وإن تركك الله عز وجل فلن تنجوَ أبدًا.

قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: (واعلَم أنّ الأمَّةَ لو اجتمَعت على أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، وإن اجتمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ [2]).

- ينبغي علينا أيها الكرام أن نلجأ إلى الله عز وجل في مثل هذه الأوقات، الله تبارك وتعالى يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾، الإنسان لا يظن أنه قد يفلت من الله عز وجل، ولو اخترعوا هذا اللقاح، ولو خرج هذا الدواء، فإنه لن ينجيك إلا الله تبارك وتعالى.

ربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ ينبه على هذه النقطة، يقول الله عز وجل ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [يونس ٢٢]

البر ملك لله، والبحر ملك لله، فإياك أن تظن إنك من الممكن أن تنجو، والذي ينجيك في البحر لا يستطيع أن ينجيك في البر.

ربنا يقول: {هُوَ الَّذي يُسَيِّرُكُم فِي البَرِّ وَالبَحرِ حَتّى إِذا كُنتُم فِي الفُلكِ وَجَرَينَ بِهِم بِريحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحوا بِها جاءَتها ريحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ المَوجُ مِن كُلِّ مَكانٍ وَظَنّوا أَنَّهُم أُحيطَ بِهِم دَعَوُا اللَّهَ} [يونس ٢٢]

لما عكرمة بن أبي جهل ركب البحر وهاجت السفينة، قال قبطان السفينة –صاحب السفينة– قال: "أيها الناس إن آلهتكم التي تدعون –أي في البر– لن تنفعكم اليوم، لن ينفعكم إلا الذي في السماء".

فتنبه هذا الذكي قال: "والله إن لم ينفعني في البحر إلا هو، فلن ينفعني في البر إلا هو"

ولما سُئل أحدهم كم إلهًا تعبد؟ قال: "ستة: خمسة في الأرض وواحد في السماء"، قالوا له: "من تجعل لرغبك ورهبك؟" لما يحق الحق ولم يعد فيه إلا واحدًا تدعوه من تجعله لرغبك ورهبك؟ قال: "الذي في السماء".

---

[2] [عن عبد الله بن عباس:] يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفظِ اللَّهَ يحفَظكَ، احفظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتمَعت على أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، وإن اجتمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ ..
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترمذي ٢٥١٦ • صحيح

إنهم يعرفون وموقنين بأن الله هو الذي ينجيهم، لكنهم يدعونه في الشدائد فقط، لا يجب أن يكون المسلم هكذا، فلا يجب أن يلجأ المسلم إلى الله عز وجل في الشدائد فقط، عند التعب، عند المرض، عندما يذهب إلى المستشفى، إذا حدث مصيبة يلجأ إلى الله، لكن إذا كانت المصيبة بعيدة عنه فإنه لا يهمه ، يقترف المعاصي، لا يذكر الله إلا قليلًا، لا يصح أن تكون هكذا، لا يصح أن يكون المسلم عامةً كذلك، المسلم يجب أن يكون ذاكرًا لله عز وجل في الرخاء؛ ليعرفك الله في الشدة.

- يعرفك ربنا سبحانه وتعالى في الشدة إن عرفته في الرخاء (تعرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يعرِفُك في الشدَّةِ[3])، هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس .

- فربنا يقول سبحانه وتعالى {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ} ربنا أنجاهم قال {إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} {إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}
- قال الله {لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ} ثم {فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} فمهما طالت هذه الحياة الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ [الأحزاب ١٧] من سينجيكم؟
- الله عز وجل يقول سبحانه وتعالى﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة ٨]
- الله عز وجل يقول سبحانه وتعالى عن هذا الفرار من الموت لن ينفعك ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب ١٦]

ليست المشكلة أنك تفر من الموت، حتى متى؟ ليست المشكلة أنك ستموت، لكن المشكلة كيف ستلقى الله سبحانه وتعالى.

هذه البلاءات تجعل الإنسان يستكين لله، تجعل الإنسان يتواضع لربه سبحانه وتعالى، تجعل الإنسان يكثر من ذكر الله عز وجل، يكثر من عمل الصالحات قبل أن يأتي أجله، فإذا أتاه الأجل وجد ما قدمه لله عز وجل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق ٦] قال العلماء: فَمُلاقِيهِ أي ملاقي ربك، وملاقي عملك، كلاهما، هذه الهاء هذا الضمير يعود على هذين الأمرين، { يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ} انظر (الإنسان) ليس المؤمن ولا الكافر، يا أيها الإنسان كل الإنسان عمل خيرًا أو شرًا {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ}

[3] [عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عباس:] تعرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يعرِفْك في الشدَّةِ.
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٢٩٦١ • صحيح

إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ} ستلاقي ربك وتلاقي عملك، لكن حينها ينقسم الناس إلى فريقين، فريق في الجنة، وفريق في السعير.

أسأل الله أن يجعلنا من أهل النعيم، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم اقبضنا إليك غير مفتونين يا رب العالمين، اللهم إن أردت بقومنا فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين، اللهم نجنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، اللهم ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يخشاك.